خطبة الأسبوع

قَسْوَةُ القَلْب

(نسخة للطباعة)

قناة الخُطَب الوَجِيْزَة
https://t.me/alkhutab

الخُطْبَةُ الأُوْلَى

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ونَتُوبُ إِلَيه، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْد: فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ التَّقْوَى، واسْتَمْسِكُوا مِنَ الإِسْلامِ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى؛ ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

عِبَادَ اللهِ: أَعْظَمُ العُقُوْبَةِ: عَدَمُ الإِحْسَاسِ بِالعُقُوْبَة! وَمِنَ العُقُوبَاتِ الخَفِيَّة: **قَسْوَةُ القَلْبِ**، والغَفْلَةُ عَنْ لِقَاءِ الرَّب![1] قال الإِمَامُ مَالِك: (**مَا ضُرِبَ عَبْدٌ بِعُقُوبَةٍ: أَعْظَمَ مِنْ قَسْوَةِ القَلْبِ**)[2]. قال ابنُ الجَوْزِي: (**مِنْ أَعْظَمِ العُقُوْبَة: أَلَّا يُحِسَّ الإِنْسَانُ بِهَا، وأَنْ تَكُوْنَ فِي سَلْبِ الدِّيْن، وطَمْسِ القُلُوب**)[3].

والإِصْرَارُ على المَعَاصِي: مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ؛ سَبَبٌ لِلْقَسْوَةِ! قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾.

والانْغِمَاسُ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، وَطُوْلُ الأَمَل؛ يُفْضِي إلى جَفَافِ العَيْنِ، وقَسْوَةِ القَلْبِ. يقول ﷻ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُم﴾.

---

[1] قال سَهْلُ بنُ عَبْد الله: (**كُلُّ عُقُوْبَةٍ طَهَارَة: إِلَّا عُقُوْبَة القَلْبِ؛ فَإِنَّهَا قَسْوَة**). حلية الأولياء، أبو نعيم (10/ 208).

[2] الزهد، الإمام أحمد (259).

[3] صيد الخاطر (194، 203). باختصار

قال بَعْضُ الْمُفَسِّرِيْن: (**أَيْ لَمَّا طَالَتْ آمَالُهُمْ: قَسَتْ قُلُوْبُهُمْ**)[4]. وجَاءَ فِي الأَثَر: (**أَرْبَعَةٌ مِنَ الشَّقَاءِ: جُمُوْدُ العَيْن، وَقَسْوَةُ القَلْبِ، وَطُوْلُ الأَمَل، والحِرْصُ على الدُّنْيَا**)[5].

وَقَسْوَةُ القَلْبِ: ضَلالٌ وحِرْمَان، وَحِجَابٌ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَن[6]؛ قال تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾.

وَمِنْ صِفَاتِ أَهْلِ النَّارِ: القَسْوَةُ والاِسْتِكْبَار؛ ومَا خُلِقَتِ النَّارُ الحَامِيَة؛ إِلَّا لِإِذَابَةِ الْقُلُوبِ القَاسِيَة![7] قال ﷺ: (**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ، جَوَّاظٍ، مُسْتَكْبِرٍ**)[8].

قالَ ابْنُ عُثَيْمِين: (**العُتُلّ: الشَّدِيدُ الغَلِيظُ، الَّذِي لا يَلِيْنُ لِلْحَقِّ ولا لِلْخَلْقِ**)[9].

والفَظَاظَةُ والقَسْوَةُ: سَبَبٌ لِلْنُّفْرَةِ والوَحْشَةِ! قال اللهُ -لِنَبِيِّهِ ﷺ-: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾. قال ابْنُ كَثِير: (**أَيْ: لَوْ كُنْتَ سَيِّءَ الكَلَامِ، قَاسِيَ القَلْبِ؛ لَانْفَضُّوا عَنْكَ وَتَرَكُوْكَ، وَلَكِنَّ اللهَ جَمَعَهُمْ عَلَيْكَ، وَأَلَانَ جَانِبَكَ لَهُمْ**)[10].

---

[4] التفسير الكبير (29/ 461). باختصار

[5] الترغيب والترهيب، المنذري (2647).

[6] قال ابنُ القَيِّم: (**أَبْعَدُ القُلُوْبِ مِنَ اللهِ: القَلْبُ القَاسِي**). بدائع الفوائد (2/ 224).

[7] انظر: الفوائد، ابن القيِّم (97).

[8] رواه البخاري (6657)، ومسلم (2852).

[9] ثُمَّ قال -رحمه الله-: (**الجوَّاظُ: الشَّحِيْحُ البَخِيْلُ؛ فَهُوَ: جَمَّاعٌ مَنَّاعٌ. والمُسْتَكْبِرُ: هُوَ الَّذِي يَرُدُّ الحقَّ، ولا يَتَوَاضَعُ لِلْخَلْقِ**). مجالس شهر رمضان (155).

[10] تفسير ابن كثير (2/ 148). باختصار

وَالقَلْبُ القَاسِي: أَضْعَفُ القُلُوْبِ، وَأَسْرَعُهَا قَبُوْلًا لِلْشُّبْهَةِ، وَوُقُوْعًا فِي الفِتْنَة.

قال ﷻ: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾.

وإِذَا كَانَ القَلْبُ قَاسِيًا جَرِيًّا: فَإِنَّهُ لا يَقْبَلُ الحَقَّ، وَلَوْ كَثُرَتْ دَلَائِلُهُ[11]؛ كَمَا لَا تُنْبِتُ الأَرْضُ الصَّلْبَة، وَلَوْ أَصَابَهَا كُلُّ مَطَرٍ![12] قالَ شَيْخُ الإِسْلَام: (إِنَّ القَلْبَ إِذَا كَانَ قَاسِيًا غَلِيظًا؛ بِمَنْزِلَةِ الحَجَرِ: لَا يَنْطَبِعُ فِيهِ الإِيمَانُ وَالعِلْمُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَدْعِي مَحَلًّا لَيِّنًا)[13].

وَخَيْرُ القُلُوْبِ: القَلْبُ الصَّافِي اللَّيِّن؛ فَهُوَ يَرَى الحَقَّ بِصَفَائِهِ، وَيَحْفَظُهُ بِلِيْنِهِ![14] يقول تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُم﴾. قال الكَلْبِي: (فَتَرِقَّ لِلْقُرْآنِ قُلُوْبُهُمْ)[15].

وَمِنْ آثَارِ قَسْوَةِ القَلْبِ: سُوْءُ الفَهْمِ والقَصْدِ، وتَحْرِيْفُ الدِّيْن[16]؛ قال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾.

وإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا: سَقَاهُ مِنْ أَدْوِيَةِ المَصَائِب، مَا يُلَيِّنُ قَلْبَه، قالَ بَعْضُهُمْ: (لَوْلَا مِحَنُ الدُّنْيَا وَمَصَائِبُهَا؛ لَأَصَابَ العَبْدَ مِنْ أَدْوَاءِ الكِبْرِ، وَالعُجْبِ، وَالفَرْعَنَةِ،

---

[11] انظر: فيض القدير، المناوي (1/ 93).

[12] انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم (96).

[13] مجموع الفتاوى (9/ 315) (13/ 271). باختصار

[14] انظر: شفاء العليل، ابن القيم (105).

[15] المصدر السابق (106).

[16] انظر: المصدر السابق.

وَقَسْوَةِ القَلْبِ؛ مَا هُوَ سَبَبُ هَلَاكِهِ!)[17]؛ قال ﷻ: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

وَمِمَّا يُلَيِّنُ القُلُوْبَ: مُخَالَطَةُ المَسَاكِيْن، وَمُسَاعَدَةُ المَكْرُوْبِيْن؛ فَقَدْ شَكَا رَجُلٌ إلى رَسُوْلِ الله ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ؛ فَقَالَ لَهُ: (إِنْ أَرَدْتَ تَلْيِيْنَ قَلْبِكَ: فَأَطْعِمِ المِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ اليَتِيمِ)[18].

وَقِرَاءَةُ القُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ: تَفْتَحُ مَغَالِيْقَ القُلُوْب، وَتُذِيْبُ قَسْوَتَها! قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾. قالَ ابْنُ القَيِّم: (فَهَذَا حَالُ الجِبَالِ -وَهِيَ الحِجَارَةُ الصَّلْبَةُ- وَهَذِهِ رِقَّتُهَا وَخَشْيَتُهَا مِنْ جَلَالِ رَبِّهَا؛ فِيَا عَجَبًا مِنْ مُضْغَةِ لَحْمٍ أَقْسَى مِنْ هَذِهِ الجِبَال! فَلَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ على الله: أَنْ يَخْلُقَ لَهَا نَارًا تُذِيْبُهَا؛ فَمَنْ لَمْ يَلِنْ للهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ قَلْبُهُ[19]؛ فَلْيَتَمَتَّعْ قَلِيلًا؛ فَإِنَّ أَمَامَهُ المُلَيِّنَ الأَعْظَمَ!)[20].

---

[17] زاد المعاد، ابن القيم (4/ 179).

[18] رواه أحمد (7260)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (1410).

[19] قال ابنُ القَيِّم: (وَمَتَى أَقْحَطَتْ العَيْنُ مِنَ البُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ الله؛ فَاعْلَمْ أَنْ قَحْطَهَا مِنَ قَسْوَةِ القَلْب).

بدائع الفوائد (3/ 224).

[20] مفتاح دار السعادة (1/ 221).

وذكْرُ الآخرة: يُزِيْلُ الغَفْلَةَ[21]، ويُذِيبُ القَسْوَةَ! قال ﷺ: (**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ**)[22]. يَعْنِي المَوْتَ[23].

وَمِنْ أَدْوِيَةِ قَسْوَةِ القَلْبِ: زِيَارَةُ القُبُوْر، وَذِكْرُ البَعْثِ والنُّشُوْر[24]؛ قال ابنُ الجَوْزِي: (**إِنْ وَجَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ غَفْلَةً؛ فَاحْمِلْهَا إِلى المَقَابِرِ، وَذَكِّرْهَا قُرْبَ الرَّحِيل**)[25].

وَمِنْ أَدْوِيَةِ قَسْوَةِ القَلْبِ: تَرْكُ الذُّنُوْب، وَذِكْرُ عَلَّامِ الغُيُوْب. قَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ البَصْرِي: (**يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَشْكُو إِلَيْكَ قَسْوَةَ قَلْبِي؟**) قال: (**أَذِبْهُ بالذِّكْرِ!**)[26]. قال ابنُ القَيِّم: (**فِي القَلْبِ قَسْوَةٌ، لا يُذِيْبُهَا إِلَّا ذِكْرُ الله؛ فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ: ذَابَتْ تِلْكَ القَسْوَة: كَمَا يَذُوْبُ الرَّصَاصُ فِي النَّار**)[27].

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ

---

[21] **وَقَسْوَةُ القَلْبِ**: مَنْشَؤُهَا مِنَ الغَفْلَة، وكُلَّمَا اشْتَدَّتْ بِهِ الغَفْلَةُ: اِشْتَدَّتْ به القَسْوَة. انظر: الوابل الصيب، ابن القيم (71)، مرقاة المفاتيح، علي القاري (8/ 3130).

[22] رواه ابن ماجه (4258)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (1211).

[23] يقول الرَّبِيْعُ بْنُ خُثَيْم: (**لَوْ فَارَقَ ذِكْرُ المَوْتِ قَلْبِي سَاعَةً؛ خَشِيتُ أَنْ يَفْسُدَ قَلْبِي**). مصنف ابن أبي شيبة (35431).

[24] انظر: فيض القدير، المناوي (1/ 696).

[25] انظر: صيد الخاطر، ابن الجوزي (513).

[26] ذم الهوى، ابن الجوزي (69).

[27] الوابل الصيب (71). باختصار

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة

الحَمْدُ للهِ عَلَى إِحْسَانِه، والشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيْقِهِ وَامْتِنَانِه، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُه.

عِبَادَ الله: هَذِهِ القُلُوبُ **تَقْسُوْ** كَالْحَجَرِ، وَ**تَصْدَأُ** كَالحَدِيْد[28]، وَ**تَتَّسِخُ** كَالثِّيَاب؛ **فَتَعَاهَدُوْهَا** بِالتَّنْظِيْفِ والصِّيَانَة، **وَلَيِّنُوْهَا** بِالتَّوْبَةِ والضَّرَاعَة، قَبْلَ أَنْ تَقُوْمَ السَّاعَة؛ ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

* * * *

* **اللَّهُمَّ** أَعِزَّ الإِسْلامَ والْمُسْلِمِينَ، وأَذِلَّ الشِّرْكَ والْمُشْرِكِيْن.

* **اللَّهُمَّ** ارْضَ عَنْ خُلَفَائِكَ الرَّاشِدِيْن، الأَئِمَّةِ المَهْدِيِّين: أبي بَكْرٍ، وعُمَرَ، وعثمانَ، وعَلِيّ؛ وعَنْ بَقِيَّةِ الصَّحَابَةِ والتابعِين، ومَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إلى يومِ الدِّين.

* **اللَّهُمَّ** فَرِّجْ هَمَّ المَهْمُوْمِيْنَ، وَنَفِّسْ كَرْبَ المَكْرُوْبِين.

* **اللَّهُمَّ** آمِنَّا في أَوْطَانِنَا، وأَصْلِحْ أَئِمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُوْرِنَا، وَوَفِّقْ (وَلِيَّ أَمْرِنَا وَوَلِيَّ عَهْدِهِ) لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتِهِمَا لِلْبِرِّ والتَّقْوَى.

* **عِبَادَ الله:** ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

* **فَاذْكُرُوا اللهَ** يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوْهُ على نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

---

[28] قال بعضُ العارفين: (إِنَّ الحَدِيْدَ إِذَا لَمْ يُسْتَعْمَلْ: غَشِيَهُ الصَّدَأُ حَتَّى يُفْسِدَه؛ كَذَلِكَ القَلْبُ إِذَا عُطِّلَ مِنْ حُبِّ اللهِ، والشَّوْقِ إِلَيْه، وَذِكْرِه: غَلَبَهُ الجَهْلُ؛ حَتَّى يُمِيْتَهُ وَيُهْلِكَه!). روضة المحبين، ابن القيم (167).

قناة الخُطَب الوَجيْزَة
https://t.me/alkhutab